

جاء أختيارنا لموضوع الدراسة الموسوم بـ (دور المرجعيات الدينية في لبنان وأثرها في الحرب الأهلية اللبنانية 1975-1992) لأظهار الأثر الذي تركته تلك المرجعيات الدينية على الساحة اللبنانية كون أن الأثر الأيجابي والسلبى للمرجعيات بصورة عامة يبرز في الأزمات التي تشهدها بلدانها، ولا يوجد أزمة في لبنان أكبر من أزمة الحرب الأهلية التي كانت بمنزلة فرصة للمرجعيات المذكورة لمعرفة مدى نقلها الجماهيري وقوة كلمتها، محاولين قدر الأمكان الخوض في تفاصيل تلك المرجعيات وإبراز أثرها الديني والسياسي في لبنان خلال مدة الدراسة ومدى فاعلية القاعدة الجماهيرية لتلك المرجعيات في ظروف صعبة جداً متمثلة بالحرب الأهلية من جانب، والعدوان الصهيوني من جانب آخر وهو بحد ذاته يمثل تحدياً لتلك الجماهير في مدى الألتزامم بالخطاب الديني لتلك المرجعيات من عدمه، أخذين بنظر الاعتبار صفتين مهمتين من صفات الباحث التاريخي وهما الحيادية في نقل الحدث التاريخي، ووحدة الموضوع والذات لا يمكن للباحث من نقل الحقيقة التاريخية بدونهما.

فيما تم أختيار عام 1975 بداية الدراسة، كونه العام الذي أندلعت فيه أو توسعت فيه- أن صح التعبير - أحداث الحرب الأهلية اللبنانية، بعد أن أصبحت الساحة اللبنانية لا تنقصها سوى من يطلق الطلقة الأولى ليعلن الحرب الأهلية التي أزهدت الأرواح وأوصدت الخزينة العامة للدولة اللبنانية، وزرعت الحقد والبغضاء في نفوس الطوائف اللبنانية، في حين توقفت الدراسة عام 1992 كونه العام الذي تشكلت فيه حكومة جديدة برئاسة رفيق الحريري الذي كان يتمتع بإمكانات اقتصادية كبيرة وعلاقات واسعة مع رجال الأعمال الأمر الذي ساعد كثيراً في معالجة الوضع الاقتصادي المتدهور في لبنان، فضلاً عن ذلك كانت إصلاحات حكومة رفيق الحريري هي إحدى المطالب الرئيسية للمرجعيات الدينية اللبنانية منذ عام 1975.

تألفت الأطروحة من مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة أستنتاجية، وكانت وحدة الموضوع حاضرة في صفحات الدراسة، جاء التمهيد بعنوان (مفهوم المرجعية الدينية لدى الطوائف اللبنانية) والذي رسم صورة واضحة عن مفهوم المرجعية الدينية من وجهة نظر الطوائف اللبنانية والشروط الواجب توفرها في الشخص ليصل لهذه المرتبة الكبيرة، كما شخص المبحث بعض الأسباب التي جعلت الحاجة ملحة لمرجعية دينية تتولى شؤون الطوائف اللبنانية.

بينما أستعرض الفصل الأول والذي حمل عنوان (تأسيس المرجعيات الدينية اللبنانية) البدايات الأولى لنشأة المرجعيات الدينية وزعمائها الأوائل الذين أدوا دوراً كبيراً في رفض الممارسات التي قامت بها السلطات الفرنسية تجاه أبناء الشعب اللبناني من ناحية، والقيام بتوعية وتبصير الشباب لدينهم الإسلامي الحنيف الذي يوجب مقاومة العدوان الصهيوني وتهديده بإحتلال لبنان، وذلك في مبحثين تطرق المبحث لأول إلى تركيبة المجتمع اللبناني الذي تألف من طوائف متعددة ومتنوعة دينياً مع ذكر المناطق التي تتمركز فيها كل طائفة والنسب المئوية التي تشغلها كل طائفة من مساحة لبنان، بينما أستعرض المبحث الثاني بداية تأسيس المرجعيات الدينية اللبنانية وكل مرجعية على حدة ومؤسسيها الأوائل ودورها السياسي والديني في لبنان لاسيما بعد وضعه تحت الوصايا الفرنسية وصولاً إلى عام 1975 وهو بداية أندلاع الحرب الأهلية اللبنانية.

في حين جاء الفصل الثاني بعنوان (موقف المرجعيات الدينية اللبنانية من حرب السنين 1975-1976)، والذي سلط الضوء على المواقف المتنوعة للمرجعيات الدينية تجاه بداية أندلاع الحرب الأهلية اللبنانية وكانت مواقف مشرفة هدفها الحفاظ على عدم تفتيت النسيج الإجتماعي للشعب اللبناني، وذلك في مبحثين، أوضح المبحث الأول الأسباب التي فجرت الحرب الأهلية اللبنانية وآراء بعض زعماء المرجعيات الدينية بالأسباب التي أندلعت على أثرها الحرب المذكورة، في حين أستعرض المبحث الثاني الأثر الأيجابي لتلك المرجعيات في التخفيف من حدة الحرب الأهلية وبت الخطاب الديني للفئات المتنازعة ودعوتها لتغليب مصلحة الوطن والحفاظ عليه من الأنتفاق على مصالحها الخاصة.

أما الفصل الثالث فقد حمل عنوان (موقف المرجعيات الدينية اللبنانية من تطورات الحرب الأهلية اللبنانية 1977-1982) فقد قدم شرحاً مفصلاً عن المواقف المتنوعة للمرجعيات الدينية اللبنانية من تطورات الحرب المذكورة، وخلال هذه المدة كثفت المرجعيات الدينية نشاطها على الصعيد الخارجي بغية إيجاد حل من الخارج ينقذ البلاد من منزلق خطير، وهو موقف يحسب للمرجعيات في الوقت الذي عجز فيه الساسة اللبنانيين عن إيجاد مخرج أو القيام بالإصلاحات التي من الممكن أن تساهم في تقليل آثار الحرب المذكورة، وذلك في خمسة مباحث، تطرق المبحث الأول إلى موقف المرجعية الدينية السنية من تطورات الحرب المذكورة خلال المدة 1977-1982 وكانت مواقف متوافقة مع طموحات الشعب اللبناني الساعي لوقف الحرب، فقد برز الشيخ حسن خالد خطيباً دينياً وسياسياً في آن واحد فتارةً يستخدم المسجد منبراً لبث الخطاب الديني الداعي لوقف الحرب والبده بحوار وطني وعقد اللقاءات تلو اللقاءات مع زعماء المرجعيات الدينية الأخرى، وتارةً أخرى يستخدم منزله في عر مون مكاناً للاجتماع مع القادة السياسيين والتباحث معهم حول كيفية إيجاد الحلول التي تنهي الأزمة، أما المبحث الثاني فقد تطرق لموقف المرجعية الدينية الشيعية من تطورات الحرب الأهلية خلال المدة المذكورة وكانت

مواقف صريحة غلبت عليها جرأة الخطاب الديني والسياسي فقد برز السيد موسى الصدر مرجعاً حريصاً على وقف الحرب الأهلية فور أنطلاقتها ولم يتردد في استخدام لغة التصعيد ضد السلطات الحاكمة في بعض الحالات التي تتطلب ذلك، واللغة نفسها استخدمها كلاً من نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى الشيخ محمد مهدي شمس الدين المفتي الجعفري الممتاز عبد الأمير قبلان، وقد دفعت المرجعية الشيعية ثمناً لخطابها الجريئ إذ فقدت مرجعها الديني السيد موسى الصدر الذي أختفى في ظروف غامضة، أما المبحث الثالث فقد أستعرض موقف المرجعية الدينية المارونية من تطورات الحرب الأهلية خلال المدة نفسها، وهي مواقف برز فيها البطريرك أنطونويس خريش الذي عول كثيراً على الفاتيكان في التوسط بين الأطراف المتحاربة ومحاولة إيقاف الحرب المذكورة، إلا أنه كان يطالب بضمانات حقيقية للحفاظ على المكاسب السياسية لأبناء طائفته في المناصب الحكومية للدولة اللبنانية، ولكن هذا الأمر لم يمنعه من تكثيف إتصالاته مع زعماء المرجعيات الدينية الأخرى والزيارات للدول العربية والأجنبية بغية وقف الحرب الأهلية، أما المبحث الرابع فقد برز موقف المرجعية الدينية الدرزية من تطورات الحرب الأهلية وهي مواقف محدودة تمثلت بالجهود التي بذلها الشيخ محمد أبو شقرا والذي كان منفتحاً على كل المرجعيات الأخرى محاولاً معهم حلحلة الأمور بالطرق السلمية، إلا أنه لم ينتقد السلطة الحاكمة وأرجع أسباب الحرب الأهلية إلى الأسباب الدينية، وجاء المبحث الخامس ليقدّم صورة واضحة عن موقف مرجعيتي (الروم الكاثوليك والروم الأرثوذكس) والذان مثلهما كلاً من البطريرك مكسيموس الخامس حكيم، والبطريرك أغناطيوس الرابع هزيم ولعباً دوراً محورياً في أظهار طائفتيهما بالمظهر الراض لأستمرار مجريات الحرب الأهلية ولم يتردد في بث الانتقادات للسلطات الحاكمة بسبب عزها عن القيام بواجباتها الملقاة على عاتقها، فضلاً عن الزيارات المثمرة للدول الأجنبية التي بذلها الزعماء المشار إليهم في سبيل إحتواء الأزمة اللبنانية.

وعالج الفصل الذي أتخذ عنوان (أثر المرجعيات الدينية اللبنانية في مجريات الحرب الأهلية اللبنانية خلال المدة 1982-1992) الأثر الإيجابي الذي تركته تلك المرجعيات على مسار الحرب الأهلية خلال المدة المذكورة، وهي مدة أختلفت عن سابقتها حيث كان على المرجعيات الدينية أن تعالج مسألة التهديدات الصهيونية من ناحية والمتمثلة بإجتياح قوات الكيان الصهيوني للبنان لجنوب لبنان، وأنعكاسات مجريات الحرب الأهلية على الصعيد السياسي والذي أصبح التعنت والتعصب والسعي وراء المناصب السمة البارزة عليه، وذلك في مبحثين، أستعرض المبحث الأول موقف المرجعيات الدينية من تطورات الحرب الأهلية خلال المدة 1982-1989 وكانت مواقف داعمة للمقاومة اللبنانية ضد الإحتلال الصهيوني وأن أختلفت الطروحات في ذلك ولكن المرجعية الدينية الشيعية هي الأكثر بروزاً في هذه المدة فقد كانت دعواتها علناً لمقاومة الإجتياح الصهيوني وتعبئة الجماهير الراضة لهذا الإحتلال الغاصب من جانب، ودعوة السلطات الحكومية لأغاثة أهالي الجنوب اللبناني الذين هاجروا البلاد أكرهاً وإتخاذ الإجراءات السريعة لعودتهم لمناطق سكناهم من جانب ثاني، والضغط على المجتمع الدولي لأجبار القوات الصهيونية على الأنسحاب من الجنوب اللبناني، أما المبحث الثاني فقد تطرق إلى مؤتمر الطائف الذي طوى صفحة مريرة من صفحات التاريخ اللبناني الذي عانى من حرب بين أبناء البلد الواحد عجزت فيها جميع المرجعيات الدينية والسياسية اللبنانية عن توقفها وتطلب الأمر تدخل المملكة العربية السعودية والتي تبنت جمع الفرقاء السياسيين للحوار الوطني في إجتماع تاريخي خرج بتوافق سياسي أطلق عليه "إتفاق أو مؤتمر الطائف"، وقد أيدت المرجعيات الدينية جميع القرارات المنبثقة منه وأن تحفظت على بعض القرارات إلا أنها تجاوزتها وعدت المؤتمر سياسة الأمر الواقع وفرصة لن تحدث مستقبلاً، ومن جهة ثانية وقفت المرجعيات المذكورة بوجه الراضين لقرارات المؤتمر وعدتهم متأمرين على البلاد.

أعتمدت الدراسة على مجموعة متنوعة من المصادر المتنوعة سبقتها الوثائق العربية والأجنبية المنشورة وغير المنشورة التي أغنت بعض جوانب الأطروحة بالمعلومات الهامة، ومنها الوثائق الصادرة من دار الكتب والوثائق العراقية، ووثائق وزارة الأوقاف اللبنانية التي كان الأثر البارز في التعرف على قوانين وشروط أختيار بعض زعماء المرجعيات الدينية اللبنانية، كذلك كان للكتب الوثائقية الأثر الكبير في ردف الأطروحة بمعلومات قيمة وأبرزها وثائق الحرب الأهلية اللبنانية وكذلك كان للكتب الوثائقية الأثر الكبير في ردف الأطروحة بمعلومات قيمة وأبرزها وثائق الأزمة اللبنانية بأجزائه الخمسة لمؤلفها عماد يونس وكمنت أهميتها في تقديم وثائق حول المراسلات بين زعماء المرجعيات الدينية ورؤساء الدول الأجنبية، وكذلك وثائق الأزمة اللبنانية الصادرة من المركز العربي للإبحاث والتوثيق للأعوام 1977 و1985 و1982 و1986 والتي أستعرضت مواقف المرجعيات الدينية من أحداث الحرب الأهلية بشكل مفصل.

وساهمت الرسائل والأطاريح الجامعية هي الأخرى في إضافة بعض المعلومات التي أحتاجتها الدراسة، وعلى رأسها أطروحة الدكتوراه المعنونة بـ (الكنيسة المارونية والتطورات الداخلية في لبنان 1975-1991) للباحثة حنان صاحب عبد الخفاجي، والتي ساهمت في أرتاء الفصل الثاني ببعض المعلومات الهامة، إلا أنها أغفلت بعض الجوانب المتعلقة بالمرجعية المارونية والتي حصل عليها الباحث من المصادر الأخرى، ورسالة الماجستير المعنونة بـ (التطورات السياسية في لبنان 1989-2005) للباحث فؤاد خلف حسين، والتي جاءت لتحاكي الوضع السياسي اللبناني بعد مؤتمر الطائف، والتي أفادتنا في المبحث الثاني من الفصل الرابع، كما كان للكتب العربية والمترجمة الأثر الواضح في الدراسة ولا بد لنا من الأعتداع عليها كونت أحتوت على مادة شاملة لموضوع الدراسة، أبرزها كتاب (فصول من

التاريخ في مسيرة علم) للباحث حسن أمين البعيني، والذي عد مصدراً هاماً أضاء لنا المبحث الأول من الفصل الثاني كونه قدم عرضاً لأهم مواقف شيخ عقل الطائفة الدرزية الشيخ محمد أبو شقرا من الحرب الأهلية اللبنانية، والتي وأن كانت مختصرة إلا أنها أفادتنا كثيراً، وكتاب (دور السنة في لبنان بعد مؤتمر الطائف للباحث غريس إلياس والذي وأن كان عنوانه متقدماً من الناحية الزمنية إلا أنه قدم عرضاً مختصراً عن بدايات تأسيس المرجعية السنوية وأبرز زعمائها الذين كان لهم دوراً مهماً في تبصير الشعب اللبناني بأهمية المبادئ الإسلامية والوحدة الوطنية، والشئ الإيجابي في هذا الكتاب أن كاتبه كان حيادياً في ذكر مواقف المرجعية الدينية السنوية، وكذلك الكتاب المعنون بـ (مدى الإسهام الشيعي اللبناني في التقريب بين المسلمين 1975-2015)، للباحث محمد توفيق سالم والذي قدم شرحاً وافياً لدور المرجعية الدينية الشيعية قبل وبعد الحرب الأهلية، وكذلك تطرق لأبرز رجالات الدين الشيعة ودورهم الديني والسياسي في لبنان، وكتاب (السادس والسبعون مار نصر الله صفيير) للكاتب أنطوان سعد والذي أستعرض المواقف الدينية والسياسية للبطريرك الماروني مار نصر الله صفيير وعلاقاته مع الكرسي الرسولي في الفاتيكان منذ تسنم الأخير سدة البطريركية، وكثفت المرجعية الدينية في هذه المدة علاقاتها مع الكرسي الرسولي للحفاظ على وجودها السياسي في لبنان بعد تطلع بعض المرجعيات الدينية اللبنانية وبتنسيق مع الزعامات السياسية لإعادة توزيع المناصب السياسية على الطوائف الإسلامية اللبنانية مع مراعاة العدالة والمساواة.

كذلك لم نغفل دور الصحف والمجلات اللبنانية التي أعطت مادة لا بأس فيها، كونها واكبت أحداث الحرب الأهلية ومواقف المرجعيات الدينية منها بشكل يومي، ومنها جريدة النهار للسنوات الممتدة (1975-1989)، وجريدة السفير للسنوات (1975, 1982, 1985)، ومجلة الشهاب لعام 1975، ومجلة الفيصل لعام 1989، كذلك لجأنا إلى شبكة المعلومات الدولية الأنترنت للحصول على تعريف بعض الشخصيات التي تعذر الحصول على تعاريف لها من المصادر.

وأخيراً أدعوا الله العلي القدير أن تنال الأطروحة أستحسان السادة أعضاء لجنة المناقشة المحترمون، مع الاعتراف بأن التقصير وارد في الدراسات التاريخية لأنها مهما بحثنا وتصفحنا عنها في أروقة المكتبات الأكاديمية تبقى بحاجة إلى البحث المتجدد، ولكن حاولنا قدر الأمكان الإحاطة بالجوانب الأساسية للدراسة التي قيدت الباحث بأن يكون حيادياً ولا تدفعه العاطفة للميل نحو طائفة معينة على حساب طائفة أخرى، لاسيما وأن الموضوع ليس سهلاً وإنما دقيقاً كونه ربط الدين بالسياسة، والباحث ينتظر التصويبات والعثرات التي يبديها له السادة أعضاء لجنة المناقشة... والله ولي التوفيق.